العلاقة بين الأسلوبية والبلاغة بين القديم والحديث: دراسة وصفية تطبيقية

The Relations between Stylistics and Eloquence in the Past and Modern Era: A Descriptive and Practical Study

Hubungan antara Gaya Bahasa dan Retorik, antara Lama dan Baru: Kajian Deskriptif dan Aplikasi

آفرين زارع *

ملخص البحث:

الأسلوبية فرع من اللسانيات ووليدة علم اللغة، تغذت من البلاغة القديمة وعلى خلاف زعم بعض الباحثين الغربيين الذين يعدون الأسلوبية وليدة الغرب وأوروبا، يرى الباحثون العرب جذورها في البلاغة القديمة وعلم اللغة، والنقد الأدبي، ولكن كانت هذه المعلومات منزوية عبر السنوات السابقة حتى تطورت بتطورعلم اللغة الحديث، وانضمت هذه العلوم تحت لوائها وتوسعت مداها، ولم تكتف بهذه العلوم، بل تطرقت إلى علوم أخرى نحو علم الاجتماع وعلم النفس وغيرهما. هذه المقالة تختار علم البلاغة من بين العلوم المرتبطة بالأسلوبية، وتبحث عن وجوه التشابه والخلاف بينهما حتى تكشف عن العلاقات الوطيدة بينهما عبر الدراسات التطبيقية، والتحليل الأدبي في سورة

طه، وتتناول مدى فاعلية التحليل البلاغي والتحليل الأسلوبي في كشف أسرار القرآن الكريم. إن من أهم النتائج التي توصلت إليها المقالة هذه هي: أن للبلاغة دورها في التحليل الأدبي لكنها قصيرة اليد ضيقة المجال مقارنة بالأسلوبية التي يكون نطاقها أوسع، وتعتبر البلاغة فرعا لها.

الكلمات المفتاحية:الأسلوبية– البلاغة– التشابه– الاختلاف– الدراسات التطبيقية.

Abstract:
Stylistics is a branch from linguistics and an outcome of linguistics. It comes from the classic rhetoric despite the claim of some of the western researches that it was a Western and European product. On the contrary, Arab researchers viewed it as an offshoot of the classic rhetoric, linguistics and traditional criticism. But this view was held back since years ago until it developed with the progress of contemporary linguistics flourishing itself under those banners. It further consolidated with other disciplines such as psycholinguistic and sociolinguistic, to name a few. This article chooses rhetoric from among the disciplines related to stylistics among other knowledge that has a link with stylistics, and it discovers the similarities. It endeavors to uncover the differences between them to establish the close relation between the two through applied studies, literary study of *surah taha*. It discusses about the impact of rhetorical analysis and stylistic analysis in uncovering the secrets of the *Al-Qur'an Al-kareem*. Among the most important results that has been discovered in this article are: Rhetoric has a role in literature analysis but it is narrow and restricted compared to stylistics which has a wider range with the inclusion of rhetoric as one of its branch.

Keywords: Stylistics- Rhetoric- Similarities- Differences- Applied Studies.

Abstrak:
Gaya bahasa adalah satu cabang linguistik yang dijana retorik lama, tidak seperti yang dikatakan oleh sesetengah pengkaji barat yang menganggap bahawa gayabahasa (stailistik) lahir dari barat dan Eropah. Para pengkaji Arab berpendapat bahawa akar umbinya berasal daripada retorik lama, liuguistik dan kritikan sastera. Namun, maklumat ini terpendam bertahun-tahun yang lalu sehinggalah ia berkembang sejajar dengan perkembangan linguistik moden yang mana kesemua cabang ilmu ini bergabung lalu berkembang di bawahnya, bukan setakat itu sahaja, malah ia juga telah mencakupi bidang lain seperti sosiologi psikologi dan sebagainya. Artikel ini memilih bidang retorik daripada lain-lain bidang berkaitan stailistik, akan mencari persamaan dan perbezaan seterusnya hubungan kuat antara keduanya melalui kajian –kajian aplikasi dan analisa kesusasteraan dalam surah Ṭāhā.Ia juga akan melihat tahap keberkesanan analisa retorik dan stailistik dalam mencari rahsia-rahsia al-Qur'ān. Antara dapatan penting kajian ialah: sungguhnpun retorik memainkan peranan dalam analisa kesusasteraan, skopnya adalah lebih kecil berbanding stailistik yang lebih luas. Dengan itu retorik dianggap sebagai salah satu cabang stailistik.

Kata kunci: Stailistik– Retorik– Persamaan– Perbezaan– Kajian Aplikasi.

مقدمة:

الأسلوبية منهج نقدي تطورت بتطور علم اللغة، وتقوم بدراسة التحليل اللغوي وهي من الدراسات الحديثة الآخذة في التطور. وعلى خلاف زعم بعض البلاغيين المحدثين الذين يعدون الأسلوبية نفس البلاغة الجديدة أو فرعاً من فروع البلاغة القديمة، لابد من القول إن الأسلوبية تختلف عن البلاغة في غالبية مناهجها وإن كانت ترتبط بها في بعض المواضيع، وفي بعض قضايا التحليل اللغوي؛ لكن فاعليتهما تختلف في التحليل الأدبي أيضاً، والأسلوبية أوسع مدى من البلاغة. اهتم كثير من الباحثين المحدثين بدراسة التحليل البلاغي والأسلوبي

والقياس بينهما بالتطبيق، نحو ما فعله أسامة بحيري في دراسته "البنية المتحولة في البلاغة الجديدة"، ويوسف أبو العدوس في "كتاب الأسلوبية النظرية والتطبيق"، وماهر هلال في "رؤي بلاغية في النقد والأسلوبية" ومحمد عودة في كتابه "تأصيل الأسلوبية في الموروث النقدي والبلاغي" وغيرهم. يستنتج من دراساتهم التطبيقية بين الأسلوبية والبلاغة أن البلاغة تقوم بالتحليل الأدبي بعلومها الثلاثة: المعاني، والبيان، والبديع، بينما الأسلوبية تدرس أثراً أدبياً في ثلاثة مستويات: المستوى الصوتي، والمستوى الدلالي، والمستوى التركيبي، وهذا أكثر شمولاً من البلاغة؛ إذ تدخل في دراسة الأسلوبية قضايا نحوية ولغوية. وهذا البحث يدرس نشأة الأسلوبية في محاولة الإجابة عن هذين السؤالين: هل الأسلوبية حديثة النشأة أم قديمة النشأة؟ وإذا كانت قديمة النشأة، فما جذورها؟ كما أن البحث يسلط الضوء على علاقة الأسلوبية بالبلاغة من بين سائر العلوم. وأخيراً يقدم معايير لتحليل النص الأدبي باستخدام البلاغة المحضة والأسلوبية. اجتهد الباحثون في تحديد مفهوم الأسلوبية اجتهاداً بالغاً حتى الآن، وإن لم يتفقوا على مفهوم واحد. فثمة تعاريف عديدة للإسلوبية وتعريف مولينيه يعد أوفاها إذ يقول: (هي فرع من اللسانيات الحديثة مخصص للتحليلات التفصيلية للأساليب الأدبية أو للاختيارات اللغوية التي يقوم بها المتحدثون والكتاب في السياقات- البيئات الأدبية وغير الأدبية).[١] ومولينيه في هذا التعريف يشير إلى البعد اللساني للأسلوبية، والباحثون يعتقدون أن اللسانيات ظاهرة غربية ووليدة بيئة أوروبية، وأنها من الدراسات الحديثة، وإن كان الصراع محتدماً حول زمن نشأتها.[٢] والأسلوبية مخصصة للتحليلات التفصيلية للأساليب الأدبية أو للاختيارات اللغوية التي يقوم بها المتحدثون والكتاب في السياقات والبيئات الأدبية وغير الأدبية. هذا يعني أن (مجالات التحليل لدى الأسلوبية قد تجاوزت حدود اللسانيات فأخذت من علم الاجتماع وعلم النفس فانضوت تحت مظلتها، وهذا يجعلنا نقول بأن الأسلوبية قد مدت يدها إلى بعض العلوم من أجل إجراء تحليلاتها).[٣] بهذا التعريف يتسع مدى الأسلوبية بحيث تتجاوز دائرة الأدب؛ أما محمد سليمان فيرد على هذه النظرية ويرى أنه لا يمكن التعامل مع الجوانب الأخرى مع النص الأدبي بالدراسات

الأسلوبية.[٤] وهو يحدد الأسلوبية في الأحكام اللغوية، ويذهب إلى أن الأسلوبية ليست قادرة على تحليل الأحكام الثقافية والاجتماعية والحضارية، ولكن أكثر الباحثين يتفقون على تعريف مولينية. يتفق نقاد الأدب على أن الأسلوبية بين سنة ١٩٦٨م وحتى ١٩٧٥م كانت ضيقة المجال، فالدراسات اللغوية القديمة كانت تنحصر في الجملة، وهذا كان أعلى مستوى؛ ولكن الجملة لا تلبي حاجاتهم؛ لأن دراسة بعض الظواهر اللغوية وتحليلها لا يمكن أن يتمّ إلا على مستوى النص.[٥] وتقدمت الدراسات اللغوية عندما بدأت تدرس بنية اللغة من الجوانب الآتية: الأصوات، بناء الكلمة، بناء الجملة والدلالة.[٦] شهدت الأسلوبية تحولاً جذرياً مع انتشار الدراسات اللسانية، وما تبع ذلك من هيمنة مناهج المدرسة البنيوية في ميادين العلوم الإنسانية، وقد أخذ هذا التطور منحيين اثنيين، وهما: منحى القاعدة العلمية الصلبة (المنهجية البنيوية)، ومنحى الاستقلال في إطار علم متكامل يتعامل مع العلوم الأخرى معاملة الند للند؛[٧] فمعدن الأسلوبية البحث عن مقومات اللغة.[٨] من العلوم الأخرى التي ترتبط بالأسلوبية بصلات وثيقة البلاغة، حيث يعدها بعض الباحثين وليدة البلاغة القديمة، وأطلقوا عليها البلاغة الجديدة. ويعتقد بعض الباحثين عكس هذه النظرية نحو فان دايك الذي يرى الأبنية البلاغية للنص ترتبط بالأسلوبية بصلات وثيقة وتعرف جزء منها ويعدها من صور الأسلوب.[٩] مع تطور علم اللغة في العصر الحديث ونشأة علم الأسلوب في الدراسات اللغوية، اهتم الباحثون بالجمع بين البلاغة القديمة والأسلوبية الحديثة الغربية، واجتهدوا في طرق تجديد البلاغة وربطها بالدراسات الأسلوبية الحديثة؛ ولكن السؤال هنا: ما العلاقة بين علم البلاغة والأسلوبية؟ هذه الدراسة تدرس بدء نشأتهما وتطورهما وأقسامهما وتقوم بالمقارنة بينهما وتصل عبر هذا الى جواب السؤال المذكور أعلاه.

نشأة البلاغة وتطورها

اهتم العرب القدامى منذ القدم بعلم البلاغة الذي يعد من أبرز وأشرف العلوم عندهم؛ لأنها كانت من الأدوات المهمة لفهم القرآن الكريم وإدراك إعجازه، وهذا بدوره دفع الباحثين إلى فهمها ودرسها حتى أصبحت فناً مستقلاً ذات قواعد وأصول. (فإن البلاغة التي نرى بين أيدينا الآن علماً مستقلاً مميزا عن العلوم الأخرى لم توجد دفعة واحدة ولم تكن ثمرة لجهد عالم معين من العلماء أو فترة من الزمان، ولكن هذا العلم كان ثمرة لجهود كثير من العلماء على مر العصور، تعددت مناهجهم واختلفت ثقافتهم وشاركوا جميعاً في بناء هذا الصرح البلاغي الكبير).[١٠] وإذا تتبعنا الدراسات الأولى لنشأه هذا العلم وصلنا إلى العصر الجاهلي الذي كان الأدباء والشعراء فيه يقفون عند اختيار الألفاظ والمعاني والصور، وكانوا يسوقون أحياناً ملاحظات لاريب في أنها أصل الملاحظات البيانية في بلاغتنا العربية؛ ثم في العصر الإسلامي أخذت تنمو العناية بالكلام بفضل ما نهج القرآن ورسوله الكريم من طرق الفصاحة والبلاغة، وإذا تحولنا إلى العصر الأموي وجدنا الخطابة ازدهرت ازدهارا إثر تحضر العرب ونمو عقولهم، فشاعت مجادلات الفرق من الخوارج والشيعة والزبيرية وغيرها، فكان من الطبيعي أن ينمو النظر في بلاغة الكلام نثراً وشعراً؛ إذ لسوقي المربد والكناسة دورهما في تطور البلاغة، أما العصر العباسي ففيه اتسعت الملاحظات البيانية لأسباب مختلفة، ومنها:

١.تطور النثر والشعر مع تطور الحياة العقلية والحضارية؛ لأن كثيرين من الموالي والفرس أتقنوا العربية ونهضوا بالنثر والشعر نهضة واسعة.

٢.نشوء طائفتين من المعلمين عنيت إحداهما باللغة والشعر والأخرى بالمناظرة والخطابة.

٣.اتساع الترجمة.

لاينكر دور الكتاب من أمثال ابن المقفع في تطور البلاغة الذين كانوا يتكسبون من العمل في ديوان الكتابة، كما كانت وسيلة لتسلم أرفع المناصب، ولا يمكن إنكار دور المتكلمين واللغويين في تسجيل ملاحظات مختلفة على فصاحة الكلام وبلاغته، فنرى الجاحظ يبسط

مباحث البلاغة الخاصة في كتابه "البيان والتبيين" كما نرى ابن المعتز يجتهد في هذا المجال، ثم نرى عبد القاهر يضع نظرية النظم في كتابيه "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" ويساعد على ازدهار الدراسات البلاغية محتلاً مكانة كبيرة في تاريخ البلاغة، وكذلك جارالله الزمخشري في كتابه "الكشاف" الذي سعى إلى تفسير الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم مطبقاً آراء الجرجاني في البلاغة ومضيفاً إليها شيئاً من إبداعه؛ لكنّ البلاغة بدأ يسري فيها الجمود منذ القرن الرابع الهجري إثر جمود الأدب. ومن المحاولات البلاغية في هذا العصر يمكننا الإشارة إلى"نهاية الإيجاز" للفخر الرازي، و"المثل السائر" لابن الأثير، و"التبيان في علم البيان" للزملكاني، وتعد هذه المحاولات دراسات جانبية وتلخيصات مبسطة؛ إذ لم يقتف أصحابها أثر عبد القاهر والزمخشري.[١١]

نشأة الأسلوبية وتطورها[١٢]

حاول الباحثون في العصر الحديث تجديد البلاغة وربطها بالدراسات الأسلوبية الحديثة، وفي نشأة هذا العلم أقوال متعددة: فبعض الباحثين يرجع نشأته إلى سنة ١٩٦٨م وبعضهم الآخر يعتقد بأن نشأته كانت في سنة ١٨٨٦م، وآخرون ذهبوا إلى أن الأسلوبية أسّسها شالرز بالي سنة ١٨٦٥م. ويتفق جمهور الباحثين على أن نشأتها كانت مع نشأة علم اللغة، كما أنها ترتبط وتصل قدمها إلى: علم البلاغة وإن كانت البلاغة أقدم زمناً منها. وهكذا نستطيع أن نقول: كانت الأسلوبية وليدة البلاغة القديمة وعلم اللغة وليست علما حديث النشأة. البلاغة القديمة كانت فن القول لإقناع الناس وكانت ملكة تؤثر في عقول الناس وقلوبهم وانحصرت في ثلاثة علوم: المعاني، والبيان، والبديع، ولكن لم تتجاوز الجملة إلى النص إلا قليلا، ولكن البلاغة الحديثه تعدّت فن القول واجتهدت في وضع القواعد وترتيبها وتحليلها في المستوى الأعلى وأصبحت فناً مستقلاً. هكذا نرى أن معيار تشخيص الأحكام النقدية في القديم كان طبع الناقد وذوقه، ولكن المعيار اليوم هو الأحكام والقواعد التي

انبعثت عن عقلية الإنسان، فقامت الأسلوبية على الفكرة والعاطفة والخيال والبلاغة، وتتناول النص عبر هذه المعايير ولا تنفك عن هذا. فالأسلوبية الحديثة تقوم بتحليل النص عبر ثلاثة عناصر، هي:

١. العنصر اللغوي: ويعالج نصوصاً قامت اللغة بوضع رموزها.

٢. العنصر النفعي: ويؤدي إلى أن ندخل في حسابنا مقولات غير لغوية مثل: المؤلف، والقارئ، والموقف التاريخي، وهدف الرسالة، وغيرها.[١٣]

٣. العنصر الجمالي الأدبي: وتكشف عن تأثير النص في القارئ والتفسير والتقويم الأدبي له.

بعبارة أخرى العنصر الجمالي هو مزايا الكلام تظهر في نظمه، وخصائص في سياق لفظه وبدائعه، حيث تقع كل كلمة مكانها لاتنبو بها مكانها، ولايرى غيرها أصلح هناك أو أشبه حتى يبلغ القول غايته.[١٤]

على أساس هذا التعريف تبرز وجوه الخلاف والتشابه بين البلاغة والأسلوبية في الأمور الآتية:

أ-العنصر اللغوي كما يصرح به اسمه يتجاوز بيئة الأدب إلى اللغة، مع أن البلاغة لا تخرج من الأدب.

ب-في العنصر الجمالي الأدبي يهتم كلاهما بالأثر الذي يتركه النص في المتلقي، لكن الأسلوبية في التحليل الأدبي تهتم بالنص والسياق الحاكم عليه، وتنظر إلى الأثر نظرة شاملة على خلاف العلماء البلاغيين الذين يهتمون بدارسة جملة أوجملتين، لذا يعتقد بعض النقاد أن البلاغة لا تقدر على البحث عن البنية المشتركة بين الصور المختلفة.

ج-والعنصر النفعي يشير إلى أن الأسلوبية تعني بالكاتب أو المتكلم عناية بالغة، فضلا عن هذا تهتم بحالته النفسية ومكانته الإجتماعية اهتماماً بالغاً، خلافاً للبلاغة التي تعني بالمخاطب، وجل اهتمامها التأثير في المخاطب دون الاهتمام بالمتكلم، كما نلحظ في قوله

تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ٨٦﴾.[١٥]

في التحليل البلاغي: ليس غرض المتكلم (موسى) الاستفهام بل يقصد أن يؤثر في المخاطب (قومه) أي يلاحظ مخاطبه وأحواله (عصيانهم لموسى). ثم استخدم أسلوباً من أساليب علم المعاني ليؤثر في المخاطب ويهز مشاعره، وهكذا استخدم تركيب الهمزة والنفي؛ إذ إن هذا التركيب يدل على الإنكار، ونفي النفي إيجاب. أما الأسلوبية فتهتم بالبنية السطحية والعميقة لهذا السؤال، أي يلاحظ المتكلم وأحواله النفسية والاجتماعية ويستنتج بأن موسى (عليه السلام) كان نبيهم، ولم يسألهم هذا السؤال؛ لأنه كان جاهلا بهذا الأمر. وهكذا تتناول الأسلوبية البعد الخارجي لهذا السؤال ثم البعد الداخلي عبر المتكلم. ففي الآية المذكورة على سبيل المثال، تبدأ الأسلوبية تحليلها بالمستوى التركيبي فتحلل مباحثها الصرفية والنحوية وتدخل في علم المعاني، ثم تدرس المستوى الصوتي فيها فتتناول متغيراته الإيقاعية، والتوازي والتكرار والتماثل الصوتي للحروف والسجع والجناس، ثم تدخل في المستوى الدلالي وتحلل النص في ضوء معطيات علم البيان، وذلك: في تحليل الاستعارة والمجاز والتشبيه وغيرها، فضلا عن تحليل الانزياح في المصاحبات اللفظية. إذن لا تقوم البلاغة بالجمع بين علومها الثلاثة، ولا تربط بين السجع في (وعدا وحسنا) والاستفهام المجازي في علم المعاني؛ أما الأسلوبية فتربط بين ثلاثة مستويات وتحكم على سياق هذه الآية بوصفها نوعاً من التهديد (يهدد موسى قومه).

أولاً– علم المعاني: وهو أصول وقواعد تعرف بها أحوال الكلام التي يكون بها مطابقاً لمقتضى الحال، بعباره أخرى يحترز بعلم المعاني عن الخطأ في تأدية المعنى المراد ويميز الفصيح من غيره،[١٦] لكن الأسلوبية فضلا عن هذا النوع من التحليل تهتم بتعدد الأساليب المستخدمة مثل الأمر والنهي والاستفهام وغيرها ومواضع خروج الكلام عن مقتضى الظاهر وتفسيرها.

ثانياً– علم البيان: يقوم بإيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بزيادة ونقصان مهتماً باللفظ،[١٧] لكن الأسلوبية لا تكتفي باللفظ وظاهر النص، بل تحلق في أجواء البنية العميقة للنص أكثر من علم البيان.

ثالثاً– علم البديع: وهو علم تعرف به وجوه تحسين الكلام والمزايا التي تزيد الكلام حسناً وطلاوة، وتكسوه بهاء ورونقاً بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة.[١٨] ويعد التحسين عملية فنية تتقابل مع التطبيق على مقتضى الظاهر ووضوح الدلالة وهو تقابل يجعل من التحسين شيئاً هامشياً.[١٩] لكن الأسلوبية تجتهد في تلاؤم اللفظ مع المعنى، فضلا عن تحسين الكلام وتزينه، والدراسة الأسلوبية تتمثل في أمرين: **الأول** تطوير مفهوم نظرية اللغة وعلاقتها بالواقع الحضاري والاجتماعي؛ لأن ثقافة الناس تترك أثراً متعمقاً في لغتهم، وكلما أتقن أهل مجتمع التكلم عن نواياهم ومتطلباتهم، ارتقت حياتهم الاجتماعية، وإذا تحدث أحد خلاف عرف الجميع، قيل له: خرجت عن كلام الناس؛ فالأسلوبية تقدم جماليات الكلام المنبعثة من تلائم اللفظ والمعنى الذي يؤدي إلى تأدية الدلالة المنشودة في محاولة لترسيخها في أذهان الناس؛ ليستخدموها في حياتهم مسهمين في رقي مجتمعهم،[٢٠] و**الثاني** الاعتماد على العلوم المختلفة والإلمام بالأثر الأدبي مطابقاً لمقتضى الحال.[٢١]

والأسلوبية تقوم بالتحليل الأدبي في ثلاثة مستويات، وهي:

أ. المستوى الصوتي (الإيقاعي): يهتم في النص بمتغيراته الإيقاعية، والتوازي والتكرار، والتماثل الصوتي للحروف، والسجع، والجناس، والوقف، والوزن، والنبر، والمقطع، والتنغيم، والقافية.

ب. المستوى التركيبي: في هذه الدراسة يمكن دراسة الجملة والفقرة والنص وما يتبع ذلك مثل الاهتمام بطول الجملة وقصرها، البنية العميقة والسطحية، وكل ما يرتبط بعلم المعاني وعلمي: النحو والصرف.

ج. المستوى الدلالي: وفي هذا المستوى يمكن دراسة الكلمات المفاتيح، والاختيار، المصاحبات اللغوية، والصيغ الاشتقاقية، وما يرتبط بعلم البيان.

على أساس هذه التقسيمات نرى جذور الأسلوبية في البلاغة؛ لأن الأسلوبية تضع علوم البلاغة الثلاثة تحت مظلتها وهكذا يظهرأنها ليست حديثة النشأة.

هذه المقالة تبرز مواضع العلاقة بين الدراسة البلاغية والأسلوبية عن طريق التحليل الأسلوبي والبلاغي للجمل الاستفهاميه في سورة طه وتكتفي في المستوى البلاغي بدراسة علم المعاني وفي الدراسة الأسلوبية بتحليل المستوى التركيبي مهتمة بالبنية العميقة والسطحية للاستفهام.

أسلوب الاستفهام أسلوب لغوي ويستخدم لطلب الفهم بشيء اسماً أوحقيقة أو صفة أو عدداً لم يكن معلوماً من قبل، فالاستفهام: (من التراكيب التي تحمل في ذاتها إمكانيات الاتصال من المرسل والمتلقي لما ينطوي عليه من مضمون وجداني ونفسي وهو من الوسائل التأثيرية التي تفعل فعلها في المتلقي).[٢٢] وهو أحد أساليب الأدب الإنشائي؛ والجملة الإنشائية هي كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب.[٢٣] والكلام الإنشائي مرتبط بتصور المتكلم ومشاعره، أي يقوم على أساس الطلب الذي يطلبه المتكلم من المخاطب ويخرج به عن أغراضه الحقيقية إلى أغراضه المجازية. استخدم الله تعالى هذا الأسلوب في سورة طه بكلا حالتيه الحقيقية والمجازية ليحتفظ بصلته مع الآخرين بهذا الأسلوب ويجعلهم مشاركين في بيان مراده؛ وبخاصة أن هذه السورة يهيمن عليها عنصر قصصي، والحوار من عناصر النصوص القصصية، وهذه السورة تحفل بكثير من هذه الحوارات التي لا تخلو من الاستفهامات. قال تعالى: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩﴾.[٢٤]

أولاً– الدراسة البلاغية: هذه الجملة إنشائية واستفهامية ومجازية؛ لأنها صادرة عن الله تعالى والمراد منها التشويق وإثارة الذهن وتوجيه نحو المستفهم عنه.

ثانياً– الدراسة الأسلوبية: ونفسرها في بعدين:

١. البعد الخارجي (صورة الشيء) أو البنية السطحية ويحلل خلال سياق النص.

٢. البعد الداخلي (الذهن) أو البنية العميقة وهو يشير إلى المتكلم.

البعد الخارجي لهذه الآية يقول: الجملة إنشائية استفهامية لطلب التصديق عن وقوع النسبة بين طرفي الإسناد أو عدم وقوعه (إتيان حديث الرسول صلى الله عليه وسلم أو عدم إتيانه) هذا الأسلوب يستخدم في المواضع التي لم يكن المتكلم عارفاً بهذا الموضوع، ويسأل عن الدلالة الكلية، وهذا بالنسبة إلى الله تعالى أمر محال؛ إذ لا شيء مخفي عنه في العالم.

ثالثاً– البعد الداخلي لهذه الآية هو أسلوب الأمر: انظر قصة موسى البعد الداخلي لهذه الآية يشير إلى مجازية هذا الاستفهام، أي ما كان قصد الله تعالى طلب فهم الجواب، بل أراد أن ينبه رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى قصة موسى (عليه السلام).

هذا الأسلوب من خصائص القصص القرآنية حتى يتشوق المخاطب إلى أن يستمع إلى بقية المشاهد: (السطح والعمق أحدهما لفيلمور، يؤكد فيه على الدلالة وبالتالي الفاعلية والأداتية والآخر لتشومسكي ويؤكد فيه على التركيب وبالتالي التحويلات فيه).[٢٥] تظهر الوظائف الثلاث: الانفعالية (المتكلم) والطلبية (المخاطب الخاص أو العام) والمرجعية (السياق) في المستوى الصياغي الأصلي لبنية الإنشاء، والاستفهام لا يستثنى من ذلك.[٢٦] عملية التوليد الدلالي في الاستفهام تمر بثلاث مراحل حتى تتجاوز دلالته الأصلية إلى دلالات جديدة.

وهذه المراحل: هي: التنبيه، والتفاعل، والإنتاج.[٢٧]

–**التنبيه**: هو إيقاظ المخاطب وإثارة ذهنه نحو ما فعل الله تعالى بالنسبة إلى نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم حين أراد أن يبدأ بالحوار معه، فبهذه الجملة الاستفهامية لإثارة فكره وحسه للتوجه نحو قصة موسى (عليه السلام)، فلو استخدم القرآن الكريم أسلوب الأمر هنا، لا يتحقق هدف زيادة الارتباط بين المتكلم والمخاطب ولم يفد هذا التنبيه، فالاستفهام هنا يكون أبلغ من الأمر.

-**التفاعل**: هو تعامل القارئ مع النص وسياقه؛ فالمخاطب هنا الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي هذه المرحلة يحصل ذهن الرسول صلى الله عليه وسلم على البعد الخارجي لهذا السؤال، فبعد أن خاطبه الله تعالى يلتفت إلى سياق النص أو الكلام ويتعامل معه لإدراكه.

-**الإنتاج**: وفي هذه المرحلة يحصل ذهن الرسول صلى الله عليه وسلم على البعد الداخلي للاستفهام ويتجاوز البنية السطحية إلى البنية العميقة مستنتجاً أن الله تعالى ملم بجواب هذا السؤال وقصده شيء آخر. قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾.[٢٨]

أولاً– الدراسة البلاغية تقول: هذه الآية جملة إنشائية وصدرت بأداة الاستفهام "ما"، هكذا تسأل عن حقيقة وماهية الشيء، ولكنها صادرة عن الله تعالى والاستفهام هنا ليس حقيقياً بل مجازي والغرض منه التقرير، أي تقرير موسى (عليه السلام) بأن الذي يمسكه بيده اليمنى قطعة مستطيلة من الخشب لا حياة فيها، وليستحضر هذا في وجدانه، ويقرّ به حتى عندما حدثت المعجزة الإلهية.

ثانياً– الأسلوبية تقوم بتحليل هذه الآية على مستوى البعدين الآتيين:

١. البعد الخارجي أو البنية السطحية: وهو الاستفهام والسؤال عن الدلالة الجزئية ويطلب المتكلم تحصيل صورة جزء من أجزاء الجملة وهو الشيء الذي كان بيد موسى (عليه السلام) اليمنى، وفي هذه الآية حوار بين الله تعالى وموسى (عليه السلام)، والمتكلم هو الله تعالى وهو عارف بما في يد موسى وهي العصا.

٢. البعد الداخلي أو البنية العميقة: وهو جملة خبرية (هذا الذي في يدك اليمنى عصا خشبية ولكننا قادرين على تحويلها إلى حيّة).

فالبنية العميقه لهذه الآية الخبر لا الإنشاء، فالله تعالى عالم بما في يد موسى (عليه السلام)، ولكنه يريد من موسى أن يلقي العصا؛ حتى يظهر قدرته وإعجازه لأخذ الاعتراف منه حتى يقرّ بأن قدرة الله تعالى لاتقارن بقدرة فرعون. فالاستفهام هنا أقصر طريق إلى التعبير عن المقصود بالنسبة إلى أسلوب الخبر، وأبلغ طريقاً في هزّ مشاعر المخاطب.

عملية التوليد الدلالي في هذه الآية أيضاً مرت بمراحلها الثلاثة: الله تعالى ينبه موسى بالاستفهام وهذا أبلغ أسلوب للتنبيه، ثم في المرحلة الثانية يتعامل موسى مع السياق في بنيته السطحية، وفي المرحلة الثالثة تحضر في ذهن موسى الدلالات المتولدة من هذا الاستفهام وتنكشف له أغراض الاستفهام. قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾.[٢٩]

أولاً– الدراسة البلاغية: في هذه الآية يخاطب فرعون موسى (عليه السلام) وأخاه، وليس الاستفهام هنا حقيقياً بل مجازي بدلالة الإنكار والسخرية أي الانكار والتهكم.[٣٠]

ثانياً– الدراسات الأسلوبية: تحلل هذه الآية في بعديها: الخارجي وهو انشائية الاستفهام، ويسأل المتكلم عن الدلالية الجزئية.

وبعدها الداخلي: لاربَّ لكما وأنتما تكذبان؛ والجملة الخبرية المنفية هذه، تدل على أن المتكلم (فرعون) لا يسأل عن حقيقة الله سبحانه وتعالى، بل يريد إنكار موسى وهارون (عليهما السلام) وإبطال قولهما ثم الاستهزاء بهما. في هذه الآية تبرز هذه العملية التوليدية الدلالية على مراحلها المتتابعة: التنبيه حين يسأل فرعون موسى ويطلب التفاته إليه، ثم تعامل موسى مع سياق كلامه حين لم تحصل الصورة الدلالية المجازية لهذا الاستفهام في ذهنه، وحين تصل إلى مرحلة الإنتاج، يدرك مقصود فرعون من سؤاله، وهذا بيّن من الاستجابات التي ترد إلى فرعون في وصف ربه وبيان قدرته. قال تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾.[٣١]

بعد أن سأل فرعون موسى (عليه السلام) حين أتى بمعجزته (تحويل العصا الى الحية، وافتراس حيات السحرة، وتصديق السحرة بموسى) خاطب فرعون السحرة بهذا السؤال.

أولاً: الدراسة البلاغية: تدرس الاستفهام في هذه الآية، وتعده استفهاما مجازياً والغرض منه التهديد والوعيد.

ثانياً: الدراسة الأسلوبية تقوم بتحليلها في بعديها:

١. البعد الخارجي أو البنية السطحية: الجملة إنشائية واستفهامية بالهمزة ويسأل عن الدلالة الكلية وعن حصول النسبة أو التصديق عن الإيمان بموسى أو عدم الإيمان به.

٢. البعد الداخلي وهو: بسبب إيمانكم بموسى قبل أن آذن لكم، أعذبكم وأقتلكم .

لم يكن قصد فرعون الاستفهام حقيقة بل يريد أن يهددهم ويخوفهم على عملهم، وإن كان يخاطبهم بجملة خبرية لم يحصل منها هذا الإنذار والتخويف وشدة غضبه من عصيانهم كما حصل بالاستفهام.

عملية التوليد الدلالي تمر أيضاً في هذه بمراحلها الثلاث، وهي: تنبيه السحرة لسؤال فرعون وتوجيه التفاتهم إليه ثم ربطهم مع: سياق الكلام، واستنتاج من غرض فرعون، واستخراج غرض الاستفهام من كلامه.

وهكذا نلحظ ما وصلت إليه الأسلوبية عبر الأزمنة المتتالية، حيث لم تكن غير مألوفة لدى العرب القدامى، وإن تشعبت منها فروع أخرى وأطلق عليها مصطلحات جديدة. كما رأينا أن علم المعاني جاء تحت لواء المستوى التركيبي، والبيان تحت المستوى الدلالي، والموسيقى في البديع (السجع والجناس) تحت المستوى الصوتي.

الخاتمة:

تستنتج هذه الدراسة بعد ان تناولت الموقف من الأسلوبية بوصفها علما لغويا حديثا ما يأتي:

١. أن الأسلوبية وليدة بلاغة القديم وعلم اللغة، وهي ليست حديثة النشأة، ولا من بنات أفكار الغرب وأوروبا، وإن كانت تطورت بتطور علم اللغة الحديث أو لسانيات النص.

٢. أن علم البلاغة قديما كان ضيق المجال وبقي منحصراً في علومه الثلاثة (المعاني، والبيان، والبديع)، لكن الأسلوبية اتسع مداها وانضوت هذه العلوم تحت مظلتها في التحليلات الأدبية واللغوية، وإن كان علم البلاغة من مقومات الأسلوبية ويرتبط بها بصلات وثيقة، لكنه يختلف عنها في مواضيع كثيرة لا يمكن جمعهما في علم واحد، ولذلك وجد النقاد في الأسلوبية ضالتهم أكثر من البلاغة.

هوامش البحث:

[١] انظر: مولينيه، جورج، **الأسلوبية**، ط٢، (بيروت: مجد، ٢٠٠٦م)، ص٩.

[٢] انظر: إسماعيلي، علوي حافظ، **اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة**، ط١، (ليبيا: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٩م)، ص٧١.

[٣] انظر: أبو العدوس، يوسف، **الأسلوبية النظرية والتطبيق**، ط٢، (عمان: دارالمسيرة، ٢٠٠٧م)، ص٦٧.

[٤] انظر: سليمان، محمد، **ظواهر أسلوبية في شعر ممدوح عدوان**، (عمان: مكتبة يازوري، ٢٠٠٧م)، ص٢٨.

[٥] انظر: عبد المطلب، محمد، **بناء الأسلوب في شعر الحداثة**، ط٢، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٥م)، ص٢٠٣.

[٦] انظر: الحجازي، محمود، **مدخل إلى علم اللغة**، (القاهرة: دار القباء الحديثة، ٢٠٠٧م)، ص٢١.

[٧] انظر: مولينيه، جورج، **الأسلوبية**، ص٧.

[٨] انظر: هلال، ماهر، **رؤي بلاغية في النقد و الأسلوبية**، (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٦م)، ص٢٠٤.

[٩] انظر: فان دايك، تواين، **علم النص**، تحقيق: سعيد حسن بحيري، (القاهرة: دار القاهرة، ٢٠٠٥م)، ص٢١.

[١٠] انظر: عبد ربه، فوزي، **المقاييس البلاغية عند الجاحظ**، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٥م)، ص٤٣.

[١١] انظر: ضيف، شوقي، **البلاغة تطور و تاريخ**، ط٩، (مصر: الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، دار المعارف، د.ت)، ص٩-١٣، ١٩-٢٢، ٣٣، ٦٢، ٦٧، ١٦٠-١٦١، ٢١٩-٢٢٠، ٢٧١-٢٧٢، ٣١٤-٣١٦.

[١٢] انظر: باطاهر، بن عيسى، **البلاغة العربية**، (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٨م)، ص١٥.

[١٣] انظر: عودة، ميس محمد، **تأصيل الأسلوبية في الموروث النقدي و البلاغي**، (عمان : دار الجليس، ٢٠١٠م)، ص٦٨.

[١٤] انظر: الجرجاني، عبدالقاهر، **دلائل الإعجاز**، ط١، علق علقه: محمد رشيد رضا، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٤م)، ص٤٤.

[١٥] سورة طه، الآية٨٦.

[١٦] انظر: القزويني، جلال الدين محمد، **التلخيص في علوم البلاغة**، ط١، ضبطه و شرحه: عبد الرحمن البرقوقي، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٠٤م)، ص٣٦-٣٨.

[١٧] انظر: القزويني، جلال الدين محمد، **التلخيص في علوم البلاغة**، ص٣٧.

[١٨] انظر: المصدر السابق، ص٣٧؛ وابن هشام، **مغني اللبيب**، ط٣، تحقيق: مازن المبارك، (بيروت: دارالفكر، ١٩٧٢م)، ص٤٠٠.

[١٩] انظر: بحيري، أسامة، **البنية المتحولة في البلاغة العربية**، ط١، (القاهرة:كفر الشيخ: العلم و الايمان، ٢٠٠٩م)، ص٢٧.

[٢٠] انظر: الجندي، درويش، **نظرية عبدالقاهر في النظم**، (مصر: مكتبة نهضة مصر، ١٩٦٠م)، ص٤٨-٩٤.

[٢١] انظر: فضل،صلاح، **شفرات النص**، (القاهرة: دار الأدب، د.ت)، ص٧٩.

[٢٢] انظر: سليمان داود، أماني، **الأمثال العربية القديمة دراسة أسلوبية سردية**، ط١، (بيروت: المؤسسة العربية للطباعة والنشر، ٢٠٠٩م)، ص١١٨.

[٢٣] انظر: جمعة، حسين، **جمالية الخبر والإنشاء**، (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٥م)، ص٧٦.

[٢٤] سورة طه، الآية ٩.

[٢٥] انظر: بن ذريل، عدنان، **اللغة والأسلوب**، ط٢، (القاهرة: مجدلاوي، ٢٠٠٦م)، ص١٨٥.

[٢٦] انظر: بحيري، أسامة، **البنية المتحولة في البلاغة العربية**، ص١٣٥.

[٢٧] انظر: بن ذريل، عدنان، **اللغة والأسلوب**، ص١٤٨.

[٢٨] سورة طه، الآية ١٧.

[٢٩] سورة طه، الآية ٤٩.

[٣٠] انظر: المطعني، عبدالعظيم، **التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم**، ط٢، (القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٠٧م)، ص١١٢.

[٣١] سورة طه، الآية ٧١.

المراجع:

References:

ʿAbd al-Muṭṭalib, Muḥammad, *Binā' al-Uslūb fī Shiʿr al-Ḥadāthah*, ٢nd edition, (Cairo: Dāral-Maʿārīf, ١٩٩٥).

ʿAbd Rabuh, Fauziy, al-Mqāīys al-Blāghiyyah ʿind al-Jāḥīẓ, (Cairo: Maktabah al-Anjlū, ٢٠٠٥).

Abu al-ʿĀdūs, Yusuf, *al-ʾuslūbiyyah, al-Naẓariyyah wa al-Taṭbīq,* ٢nd edition, (Amman: Dāral-Masīrah, ٢٠٠٧).

Al-Ḥījāzi, Maḥmūd Fahmiy, *Madkhal ilā ʿʿilmal-Lugha,* (Cairo: Dār Qūbāʾal-ḥdīythah, ٢٠٠٧).

Al-Junaidiy, Darwīsh, *Naẓariyah ʿabdal- Qāhir fī al-Nuẓum*, (Egypt: Maktabahal-Nahḍah, ١٩٦٠).

Al-Jurjāniy, ʿabdal-Qāhir, *Dalāʾil al-ʾiʿjāz,* Qirāʾa wa Taʿlīq: Abu Fahr Maḥmūd Muḥammad Shākir.

Al-Muṭʿaniy, ʿabdalʿaẓīm, *al-Tafsīral-Balāghiy lilʾiṣtifhām fī al-Qurʾān al-Karīm,* ٢nd edition, (Cairo: Maktabah Wahbih, ٢٠٠٧).

Al-Qazwīniy, Jalāl al-Dīn Muḥammad, *al-Talkhīṣ fī ʿulūm al-Balāghah*, ١st edition, Sharaḥ: ʿabdal-Raḥmān al-Barqūqiy, (Cairo: Dāral-Fikral- ʿarabiyy, ١٩٠٤).

Al-Saʿrān, Maḥmūd, *ʿilm al-Lughah,* (Beirut: Dāral-Nahḍah al-ʿarabiyyah).

Bā Ṭāhīr, Bin ʿīsā, *al-Balāghah al-ʿarabiyyah,* (Beirut: Dāral-Kītābal-Jadīdal-Mutaḥidah, ٢٠٠٨).

Bin Dhūrail, ʿadnān, *al-lūghah wa al-ʾuslūb,* ٢nd edition, (Majidlāwiy, ٢٠٠٦).

Būḥairiy, ʾusāmah, *al-Būnyah al-Mutaḥawilah fī al-Blāghah al-ʿarabiyyah*, ١st edition, (Kafr al-Shikh: al-ʿilmwaal-Imān, ٢٠٠٩).

Ḍaif, Shauqiy, *al-Balāghah Taṭawwur wa Tārīykh,* ٩th edition, (Egypt: al-hayʾāh al-ʿĀāmh lī mktabatal-īskandarīyah, Dār ālma ʿĀārīf,).

Faḍl, Salāḥ, *Shafarāt al-Naṣ,* (Dār al-adab, BidūnTarīkh).

Fān Dāik,Tuwain, *ʿilmal-Naṣ,* ed. Saʿīd Ḥasan Bḥuayriy, (Beirut: Dār al-Qāhīrah, ٢٠٠٥).

Halbash, Jirhārd, *Taṭawwur ʿilm al-Lughah Mundhu ʿām ١٩٧٠,* ١st edition, ed. Saʿīd Ḥasan Bḥuayriy, (Beirut: Zahrāʾ al-Sharq, ٢٠٠٧).

Hilāl, Māhir, *Ruʾya Balāghiyyah fī al-Naqd wa al-ʾuslūbiyyah,* (al-Iskandariyyah: al-maktab al-Jāmiʿiy al-Ḥadīth, ٢٠٠٦).

Ibn Hīshām, Jamāl al-Dīn, *Mughniy al-Labīb,* ٣rd edition, ed. Māzin, al-Mubārak, (Beirut: Dār al-Fikr, ١٩٧٢).

Ismāʿīliy, Ḥāfīẓ ʿilwiy, *al-Līsāniyyāt fī al-Thaqāfah al-ʿarabiyyah al-Mʿūāṣirah,* ١st edition, (Lībyā: Dāral-Kītābal-Jadīd al-Mutaḥīdah, ٢٠٠٩).

Jumʿāh, Ḥusain, *Jamāliyyāt al-khabar wa al-Inshāʾ,* (Damascus: Itīḥādal-Kītābal-ʿarabiyy, ٢٠٠٥).

Mulinīh, Jūrje, *al-ʾuslūbiyah,* (Beirut: Majd, ٢٠٠٦).

Sulimān Dāwūd, Mʿāniy, *al-Amthāl al-ʿarabiyyah al-Qadīmah: Dirāsah ʾuslūbiyyah Sarrdiyyah,* ١stedition, (Beirut: al-Muʾassasah al-ʿarabiyyah lilṭibāʿah wa al -Nashr, ٢٠٠٩) .

Sulimān, Muḥmmad, *Ẓawahīr ʾuslūbiyyah fī shiʿr mamdūḥ ʿadwān,* (Amman: Yāzūriy, ٢٠٠٧).

ʿŪdah, Mays Muḥammad, *Taʾṣīl al-ʾuslūbiyyah fī al-Mawrūth al-Naqdiy wa al-Balāghiy*, (Amman: Dār al-Jalīs, ٢٠١٠).